ملخّص برنامج عبد الحليم الغزّي وحديثٌ عن الجندر - الحلقة(8)
رسالة نسائية ج٢
الإثنين : ١١/صفر/١٤٤٥هـ - الموافق ٢٨/٨/٢٠٢٣م

هذه الحلقةُ هي الجزء الثاني منَ العُنوانِ المتقدِّم؛ "رِسالةٌ نسائيّة".
لا أُريدُ أن أُعيدَ الكلامَ الَّذي ذكَرتهُ في الحلقة الماضية كي أنتفعَ من وقت هذه الحلقة..
اللَّهُ سُبحانهُ وتعالى هل خلقَ المرأةَ كاملةً كَما خلقَ الرَّجُل؟ أم خلقها ناقصةً؟ نحنُ لا نعترضُ على اللّه إذا كانَ قد خلقَ المرأة ناقصةً، لكنَّ القُرآنَ لا يقولُ بهذا، اللَّهُ لا يقولُ من أنَّهُ خلقَ المرأةَ ناقصةً، لكنَّهُ لو خلقها ناقصةً فإنَّنا لا نعترضُ على اللَّهِ سُبحانهُ وَتعالى، لكنَّ الَّذي قد تحقَّقَ على أرض الواقع أنَّ اللَّه بحسبِ قُرآنه خلقَ المرأةَ كاملةً، فأعودُ إلى كلامي:
- إذا كانَ اللَّهُ خلقَ المرأة كاملةً إذاً لماذا هذا التَّنقيصُ والتَّوهين؟!
- وإذا كانَ قد خلقها ناقصةً فلماذا يُعابُ عليها فإنَّ الله قد خلقَها هكذا؟!
فأينَ ستذهبُ الحوزةُ الطوسيَّةُ معَ كُلِّ الإشكالات الَّتي تُثارُ على تلكَ النصوص بحسبِ مَنهجِها العاثر، بِحسبِ منهجِها الخائب الَّذي يتبنَّى مفرداتِ منهج النواصب من الظهور العرفي، إلى استمرار مرحلة التَّنزيل، إلى تماميّة البيان؟!
في منهج العترة الطاهرة فإنَّ الأمرَ مختلفٌ جدّاً، فهُناكَ المعاريض، ما المرادُ من المعاريض؟
في منهج العترة الطاهرة لا نعملُ بالظهور العرفي إلَّا بحسبِ ما تسمحُ بهِ المعاريض، نحنُ لا نرفضُ الظهورَ العُرفي مطلقاً، وبيّنتُ معنى الظهور العرفي؛ "الرجوعُ إلى القواميس"، الرجوعُ إلى الثَّقافةِ العُرفيّة..
المعاريضُ؛
- نظامٌ في التعبير.
- وأسلوبٌ في الصياغة اللُّغويَّة.
يستطيعُ كُلُّ شخصٍ أن يبتكرَ نظامَ معاريض لهُ، ونحنُ لا نتحدَّثُ عن الجميع، نتحدَّثُ عن العترة الطاهرة..
في منهج العترة لا نعملُ بالظهور العرفي إلَّا بحسبِ ما يسمحُ نظامُ المعاريض، ونعتقدُ بأنَّ مرحلةَ التَّنزيل قد نُسخت ومن أنَّنا في مرحلة التَّأويل الَّتي بدأت منذُ بيعة الغدير، ويترتَّب على هذا أنَّ البيانَ يكونُ متحركاً، بالضبط مثلما يُحدِّثُنا أئمَّتُنا عن قُرآنهم؛ "من أنَّهُ يجري مجرى اللَّيلِ والنَّهار مجرى الشَّمسِ والقَمر"، كذلكَ حديثُهم، ولذا فإنَّهُما لن يفترقا حتَّى يَردا على رَسُولِ اللّه على الحوض، فخصائصُ القُرآنِ هي خصائصُ الحديث، وخصائصُ الحديثِ هي خصائصُ القُرآن، إنَّني أتحدَّثُ في ضوء ثقافة العترة الطاهرة..
جهةٌ مُهمَّةٌ: "**المتاهةُ الشيعيّة**".
بسببِ المتاهة الشيعيّة فلم يتحقَّق فهمٌ صحيحٌ لآيات القُرآن ولأحاديث العترة، الأحاديثُ الَّتي قرأتُها في الرِّسالة في الحلقة الماضية هذه أحاديثُ الأئمَّة، رُبَّما نُقلَ البعضُ منها بالمضمون ولكنَّها أحاديثُ الأئمَّة، بعضُها جاءَ بلفظ الإمام، وبعضُها جاءَ بالمضمون الَّذي تحدَّثَ عنهُ الإمام، هذه أحاديثُ الأئمَّة، إنَّني لا أُنكرُ منها حديثاً واحداً، ويُوجدُ عندنا في الأحاديث ما هوَ أشدُّ في المضامينِ وأقسى، هذه أحاديثُ الأئمَّة والشيعةُ عَملوا بها، هذهِ حقيقةٌ لا يُمكنُ إنكارُها، لكنَّ الكلامَ هُنا هل هذه الأحاديثُ تبقى مضامينها حاكمةً على الواقع الشيعي إلى يوم القيامة؟!
الجوابُ: كلا، هذه الأحاديثُ ككثيرٍ من الأحاديث جاءت في سياقٍ استثنائي، وهذا الاستثناءُ لهُ أسبابهُ ولَهُ مُبرِّراتهُ، الَّذي يعترضُ الآنَ على مضامينِ هذه الأحاديث وهُوَ مُحقٌّ وأنا أيضاً أعترضُ على مضامينها، إنَّما نعترضُ لأنَّنا في زمانٍ يختلفُ عن الزَّمان الَّذي نُسجت تلكَ الأحاديثُ لأجله، هُناكَ ثقافةٌ كانت شائعةً وكانت مُستقرَّةً في العُقول والأذهان عندَ الرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواء، المشكلةُ لا هي في الرِّجال ولا هي في النِّساء، الرِّجالُ والنِّساءُ رُبُّوا على ثقافة انتقلت عبرَ الأجيال، هذا هو البرنامجُ الإبليسيُّ الَّذي بدأَ يتحركُ بشكلٍ فاعلٍ مُنذُ أن قَتَلَ قابيلُ هابيل، الحكايةُ طويلةٌ وعريضةٌ جدّاً.
المتاهةُ الشيعيّة ؛ في أجواء المتاهة الشيعيَّة تضاعفَ التِّيه، بقاءُ هذه المضامين وبنحوٍ لا تستطيعُ الحوزةُ الطوسيَّةُ أن تُفسِّر ورودَ هذه الأحاديث عن الأئمَّة المعصومين بسببِ منهجها الضَّال، وبسببِ المتاهة الشيعيّة، نحنُ في متاهة شيعيّة مُركَّبة مُعقَّدة، أئمَّتُنا حدَّثونا عن ملامح هذه المتاهة.
في تفسير إمامنا الحسن العسكريّ صلواتُ اللّه عليه، طبعةُ ذوي القربى/ الطَّبعةُ الأولى/ قُم المقدَّسة/ الصفحة الرابعة والسبعين بعد المئتين، أذهبَ إلى موطن الحاجة إنَّها روايةُ التَّقليد المرويَّةُ عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه وهو يتحدَّثُ عن مراجع الشيعة زمانَ الغَيبة الطويلة عن المراجع الكذَّابين الَّذينَ قَد ضلُّوا وأضلُّوا الشيعةَ معهُم: **يَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عُلُومِنَا الصَّحِيحَة** - البعض تُشيرُ إلى القلَّة، وماذا يفعلونَ بعدَ ذلك؟ - **ثُمَّ يُضِيفُونَ إِلَيه** - إلى هذا البعض - **أَضْعَافَهُ وَأَضْعَافَ أَضْعَافه مِنَ الأَكَاذِيبِ عَلَيْنَا** - إذا أردنا أن نُحوِّلَ هذا الكلام إلى الأرقام فإنَّهُم يتعلَّمونَ بنسبة عشرة بالمئة ويكذبونَ مع العشرة بالمئة بنسبة مئة وعشرين بالمئة، الأضعافُ أقلُّها ثلاثة- **وَأَضْعَافَ أَضْعَافه** - وكذلكَ يُضيفونَ الأضعافَ إلى الثلاثة، الأضعافُ الأولى ثلاثة، والأضعافُ الثانية تسعة، إذا حوَّلنا إلى النسبة المئويّة فإنَّ الأكاذيب ستكون بنسبة مئة وعشرين بالمئة إلى عشرة بالمئة، ماذا يبقى من الصدق؟ ماذا يبقى من الحقيقة؟
- **الَّتي نَحنُ بُرَاءٌ منهَا فَيَتَقَبَّلُهُ الْمُسْتَسْلِمُونَ من شيعَتنا عَلَى أَنَّهُ مِن عُلُومنا فَضَلُّوا وأَضَلُّوهُم** - هذا هو الَّذي يجري بالضبط في النَّجف وكربلاء مُنذُ سنة (٤٤٨) للهجرة، لو كانَ الكلامُ غيرَ هذا إذاً لماذا لا يستطيعُ المنهجُ الطوسيُّ الحوزويُّ في النَّجف أن يقفَ في مواجهة الحقائق؟
إمامُنا الصَّادقُ يقول من أنَّهُم: **أَضَرُّ عَلَى ضُعَفَاء شيعَتنا من جَيشِ يَزيد عَلَى الحُسَين بنِ عَلِيٍّ وَأَصْحَابِه** - هؤلاء أضرُّ من شمر، أضرُّ من حرملة، ولكنَّ الشيعةَ الحمير يعتقدونَ أنَّ الهدايةَ وأنَّ الدِّينَ وأنَّ العلمَ عندَ هؤلاء..
- **وهَؤُلاء عُلَمَاءُ السُّوء النَّاصبُون** - لأنَّ علمَهُم ناصبيٌّ ولأنَّ دينَهُم ناصبيٌّ - **المُشَبِّهُونَ** - يُشَبِّهونَ على الشيعة - **بأَنَّهُم لَنا مُوالُون ولأعدَائنَا مُعَادُون** - ماذا يصنعونَ بالشيعة؟ - **يُدْخِلُونَ الشَّكَّ وَالشُّبْهَةَ عَلَى ضُعَفَاء شيعَتنا فَيُضِلُّونَهُم** - هؤلاء الضُّعفاء ما هُم ضُعفاءُ الأبدان، هؤلاء ضُعفاءُ العقيدة - **ويَمْنَعُونَهُم عَن قَصْد الحَقِّ المُصيب** - هذه جهةٌ من جهات المتاهة الشيعيّة.
وجهةٌ ثانية يُحدِّثُنا عنها الكليني في الكافي في الجزء الأوَّل؛
طبعةُ دار الأسوة طهران إيران/ الصفحة الثمانين بعدَ الثلاثمائة، الحديثُ الحادي عشر: **بِسنَده** - بسند الكليني - **عَن مُفَضَّل بنِ عُمَر، عَن إمَامنا الصَّادق صَلواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه** - الإمام يقول يُحدِّثُ المفضَّل بنَ عُمَر والمفضَّلُ كوفيٌّ عراقي - **وَلَترْفَعَنَّ اثْنَتَا عَشَرَةَ رَايةً مُشْتَبِهَة لا يُدْرَى أيٌّ من أيٍّ** - هذه الجهةُ

الثانية، مُنذُ أيَّام المعارضة وهذا المعنى نحنُ نعيشهُ، هذه الراياتُ المشتبهة ترتبطُ بهؤلاء المراجع الَّذينَ وصفَهُم الإمامُ الصَّادقُ - **قَالَ الْمُفَضَّلُ: فَبَكَيتُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يا أبَا عَبد اللّه؟** - هذه كُنيةُ المفضَّل - **فَقُلتُ: جُعلتُ فدَاكَ، كَيفَ لا أبْكِي وأنْتَ تَقُول: اثْنَتا عَشَرَةَ رَايَةً مُشْتَبَهَةً لا يُدْرَى أيٌّ من أيّ؟** - اختلطَ الحقَّ والباطل - **قَالَ وَفِي مَجْلِسِهِ كُوَّةٌ تَدخُلُ فِيهَا الشَّمس فَقَالَ: أتَبِينَةٌ هَذِه؟** - الإمامُ يتحدَّثُ عن الشَّمس - **فَقُلتُ: نَعَم، قَالَ: أمْرُنا أبْيَنُ من هذه الشَّمْس.**

الحديثُ عن المتاهة؛

- فهُناكَ متاهةٌ من جهة المرجعيّة؛ هؤلاء الَّذينَ هُم أضرّ على الشيعةِ من جيشِ يزيد على الحُسين بن عليٍ وأصحابِه.
- وهُناكَ متاهةُ الرايات، متاهةُ التنظيمات السياسية.

أتعلمونَ أنَّ هذا سيدفعُ الكثيرَ من المثقّفينَ ومن الأكاديميّين في قادم الأيَّام إلى اعتناقِ دين الجَندَر، لأنَّهُم يجدونَ أنَّ الجَندَرَ يُنصفُ المرأة بينما دينُ النَّجف يُلحقُ ما يُلحقُ بها من التوهينِ والتَّنقيص، والسَّببُ في المنهج الضالِّ الَّذي هُم عليه..

هذه المتاهةُ هي المتاهةُ الَّتي تحدَّثَ عنها أميرُ المؤمنين في خُطبة خطبَها في المدينة المنوّرة بعدَ فتن السقيفة وما جرى من الصَّحابة الضَّالّين؛

في الجزء الثامن من (الكافي الشريف) للكليني، المتوفّى سنة (٣٢٨) للهجرة، طبعةُ دار التعارف للمطبوعات، الصفحة السابعة والخمسين، الحديثُ الثاني والعشرون، موطنُ الحاجة في الصفحة التاسعة والخمسين، يقولُ أميرُ المؤمنين في خُطبته وهو يتحدَّثُ مع الشيعة: **وَلَعَمْري لَيُضَاعَفَنَّ عَلَيكُم التِّيهُ من بَعْدي أضْعَافَ مَا تَاهَت بَنُو إسْرَائِيل** - "ولَعَمْري"؛ الإمامُ هُنا يُقسِم، هذه صيغةُ قَسم، لقد حَشدَ أميرُ المؤمنين في كلامه هذا كُلَّ ما يُمكنُ أن يُحشدَ من توكيدٍ في الكلام..

هذا هُوَ التِّيهُ الَّذي حدَّثنا عنهُ إمامُنا الصّادقُ في رواية التَّقليد..

الغَيبَةُ للنُّعماني المتوفّى سنة (٣٦٠) للهجرة، طبعةُ أنوار الهدى/ الطبعةُ الأولى/ قُم المقدَّسة/ الصفحة السادسة والثلاثين بعدَ الثلاثمائة، الحديثُ الأوَّل: **بِسنده** - بسند النُّعماني - **عَن إمامنا الباقرِ صلواتُ اللّه وسَلامهُ عَليه: إنَّ قَائِمَنا إذَا قَامَ دَعَا النَّاسَ إلَى أمْرٍ جَديد كَمَا دَعَا إلَيه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وآله، وإنَّ الإسْلامَ بَدَأ غَرِيباً وَسَيعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأ فَطُوبَى للغُرَباء** - متى تتركَّزُ غُربةُ الإسلام؟ تتركَّزُ غُربةُ الإسلامِ في غيبة الإمام، وتتركَّزُ في الغيبةِ الطويلة بنحوٍ أشد مما كانت عليه الأوضاعُ زمانَ الغَيبة القصيرة، فزمانُ الغيبة الطويلة هو زمانُ غُربة الإسلام..

هذا الإسلامُ غريبٌ من جعلهُ غريباً؟ السقيفتان؛ سقيفةُ بني ساعدة وسقيفةُ بني طوسي، هاتان السقيفتان نفتا الإسلامَ إلى مكانٍ بعيد، وكُلُّ سقيفة جاءتنا بدينٍ مزيَّف، غُربةُ الإسلامِ بسببِ غُربة الإمام، بسببِ أنَّ السقيفتينِ أخرجتا دينَ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد من واقعِ هذه الأُمَّة كُلُّ سقيفة بحسبها..

في غَيبَة النُّعماني، الصفحة السابعة بعدَ المئتين، الباب الثاني عشر، الحديثُ الأوَّل: **بِسنَدِه** - بسند النُّعماني - **عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلَواتُ اللَّه وسَلامهُ عَليه: لَمَّا بُويعَ لأمير المُؤمنين بَعدَ مَقْتَلِ عُثمَانَ صَعدَ الْمنْبَرِ وخَطَبَ خُطبَةً ذَكَرَها** - ذكرها الإمامُ الصّادق، لكنَّ يعقوبَ السراج وعليَّ بنَ رئاب ذكرا لَنا مَقطعاً مِمَّا ذكرهُ إمَامُنا الصَّادق، وإلَّا فإنَّ الإمامَ الصَّادقَ قد ذكرَ الخُطبةَ بكاملها - **يَقُولُ فيهَا** - أمير المؤمنين، ذكرها الإمامُ الصّادق - **أَلَا إنَّ بَلِيَّتَكُم قَد عَادَت كَهَيئَتِهَا** - بعدَ الفتن الَّتي جرت مُنذُ خلافة أبي بكرٍ إلى مقتل عُثمان - **يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ** - مثلما تصفُ أحاديثُ البُخاري وأحاديثُ مُسلم من أنَّ الصَّحابةَ من المهاجرينَ والأنصار رجعوا على أدبارهم القهقرة - **صَلَّى اللَّهُ عَليه وآله، والَّذي** - أميرُ المؤمنين هُنا يُقسم - **والَّذي بَعَثَهُ** - بعثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عليه وآله - **بالحَقّ** - الإمام يُقسمُ هُنا لا لأجل أن نُصدِّقهُ، وإنَّما لأجل أن يؤكِّدَ المعنى - **لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَة ولَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَة** - لامُ التوكيد مع نون التوكيد المثقَّلة - **حَتَّى يَعُودَ أسْفَلُكُم أعْلاكُم وَأعْلاكُم أسْفَلَكُم وَلَيسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّروا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا، وَاللَّه مَا كَتَمتُ وَشْمَةً وَلَا كَذَبتُ كِذْبَةً** - "مَا كَتَمتُ وَشْمَةً"؛ علامةً من العلائم، نقطةٌ دالَّةٌ واضحة - **وَلَقَد نُبِّئتُ بِهَذا الْمَقَام وَهَذا اليوم.**

في صفحة (٢١٤)، الحديثُ الثاني عشر: **بِسنده** - بسند النُّعماني - **عَن إمَامنا البَاقرِ صَلواتُ اللَّه وسَلامهُ عَليه: لَتُمَحَّصُنَّ يَا شِيعَةَ آلِ مُحَمَّد تَمحيصَ الكُحْلِ فِي العَيْن** - حينما يُكَحِّلُ الإنسانُ عينَهُ فإنَّ الكُحلَ سيذهبُ شيئاً فشيئاً سيزول من عند نفسه أو بسببِ الهواء، بسببِ حرارة الجو، بسببِ يد الإنسان حينما يفرك عينَهُ مثلاً، وهكذا، هذا هو الَّذي يقصدهُ إمامنا الباقر - **وإنَّ صَاحبَ العَيْن يَدرِي مَتى يَقَعُ الكُحْلُ فِي عَينه** - لأنَّهُ هو الَّذي يضعُ الكُحلَ في عينه - **وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَخرجُ منها، وَكَذلك يُصْبِحُ الرَّجُلُ** - من الشيعة - **عَلَى شَرِيعَةٍ من أمْرِنَا وَيُمسِي وَقَد خَرَجَ منهَا، وَيُمسِي عَلَى شَرِيعَةٍ من أمْرِنَا ويُصبِحُ وَقَد خَرَجَ منهَا** -

المشكلةُ هُنا:

الحديثُ الرابعَ عشر من (صفاتُ الشيعة) للصّدوق، المتوفّى سنة (٣٨١) للهجرة: **بسنده** - بسند الصَّدوق - **عَن أحمَد بن مُحمَّد الخزّاز، قَالَ: سَمعتُ الرِّضَا** - إمامنا الثامنُ في سلسلة الأئمَّة الاثني عشر صلواتُ اللّه عليهم - **يَقُول: إنَّ ممَّن يَتَّخذُ مَودَّتَنا أهْلَ البَيت لَمَن هُوَ أشَدُّ فتْنَةً عَلَى شيعَتنَا منَ الدَّجَّال، فَقُلتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُول اللّه بِمَاذا؟ قَالَ: بِمُوالاة أعْدَائنا وَمُعَادَاة أوليائنا، إنَّهُ إذَا كَانَ كَذلك اخْتَلَطَ الحَقُّ بالبَاطل وَاشْتَبَه الأمْر فَلَم يُعْرَف مُؤْمِنٌ من مُنَافِق** - وهذا ما يفعلهُ بالضبط مراجعُ النَّجف خُصوصاً المَرجعُ الأعلى، وهَذا ما تفعلهُ الأحزابُ الدِّينيّةُ الشيعيّةُ السياسيّة..

هذا المضمونُ هُو هُوَ الَّذي يُحدِّثُنا به الكليني في الجزء الثامن من (الكافي الشريف)، الطبعة نفسها، الصفحة الثالثة بعد المئتين، الحديثُ الثاني والستون بعدَ الثلاثمائة: **بِسَنده** - بسند الكليني - **عَن هِشَام بنِ سَالم قَالَ: قَالَ أبو عَبد اللّه** - إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه - **إنَّ ممَّن يَنْتَحلُ هَذا الأمْر** - "ينتحلُ"؛ يعتَقدُ، "وهَذا الأمْر"؛ مودَّةُ أهل البيت - **لَيَكْذِبُ** - وهذه لامُ التوكيد أيضاً - **حَتَّى إنَّ الشَّيْطَانَ لَيَحْتَاجُ إلَى كَذِبِه** - إنَّهُم هؤلاء المراجعُ الَّذينَ يكذبونَ بدرجة مئة وعشرينَ بالمئة، الشَّيطانُ يحتاجُ إلى أكاذيب المراجع، إلى أكاذيبِ عُلماء الدِّين الَّذينَ لا عندَهُم علم ولا عندَهم دين، عندَهُم أكاذيب، هذه هي المتاهةُ الشَّيعيّة، في متاهة مُظلمة كهذه لن تتَّضح الحقائق، وحينئذ فإنَّ الَّذينَ يطلبونَ الحقائقَ في هذه المتاهة لَن يصلوا إلى شيء، ولذا سيعودونَ أدراجهم كي يقعوا في فخاخ الشَّيطان وفي مصائد النَّواصب كي يقعوا في شباك ثقافة الجندر وغير الجندر، هذا هو الَّذي يجري على أرض الواقع..

فحينما يتركَّزُ الظُّلمُ في المجتمع على النِّساء وحينما تكونُ النُّصوصُ تُؤيِّدُ هذا الظُّلم كيفَ نُطالبُ الَّذينَ يُشكلونَ هذه الإشكالات أن يتجاوزوا عنها من دون أن نضعَ النِّقاطَ على الحروف؟! وليس هُناكَ من حلٍّ إلَّا أن نتَّبع منهجَ العترة الطاهرة؛

- إنَّهُ منهجُ المعاريض.
- منهجُ مرحلة التَّأويل.
- قاعدةُ البيان المتحرك.
- والنَّتائجُ الحقيقيّةُ يؤيِّدُها القُرآن.

قُرآنُ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد سآخذُ منهُ أمثلةً، إنَّها الآياتُ الـمُؤسِّسة:
الآيةُ الثالثةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة من سورة الحُجُرات: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ** - الخطابُ للنَّاس والنَّاسُ هذا العنوانُ يُطلَقُ بالتساوي في دَلالته على الذُّكُورِ والإناث - **إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى**﴾، فأنتُم تُخَاطَبُونَ بمستوىً واحد، وخلقَتُكُم بمستوىً واحد، ولا يُوجدُ صِنفٌ ثالثٌ في النَّاسِ بحسبِ قواعد الخَلق الإلهي، فالمخلوقُ الإنساني إمّا أن يكُون ذكراً، وإمّا أن يكونَ أنثى، وإذا ما شذَّ شاذٌّ فهذا خارجٌ عن المسار الأصل..
العقلُ الَّذي يُخاطَبُ بمنزلةٍ واحدة إن كانَ عقلاً ذكورياً أو كانَ عقلاً أنثوياً، خَلقنَاكُم أهمَّ نُقطةٍ في الخَلْقِ العَقل..

سورةُ المؤمنون، من الآيةِ الثانيةِ بعدَ العاشرةِ بعدَ البسملة وما بعدها من الآيات، حكايةُ خلق الإنسان: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ** - هذه النُّطفَةُ الَّتي يتكوَّنُ منها الذَّكر أو تتكوَّنُ منها الأُنثى هي تكويناً وخلقاً وخصائصاً ومنزلةً - **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً** - العلقةُ هي قطعةُ الدَّم المتجمدة - **فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً** - إنَّها قطعةُ لحم - **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً** - إلى هذه النُّقطة مسيرةُ خلق الحيوانات ومسيرةُ خلق الإنسانِ واحدة الحيواناتُ هكذا تُخلقُ، هُنا يختلفُ الإنسانُ عن الحيوانات: **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ** - هذا الكلامُ ليسَ خَاصّاً بالرِّجال وليسَ خاصّاً بالنِّساء، هذا الكلامُ يتحدَّثُ عن الرِّجال والنِّساء على حدٍّ سواء - **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** - فهذا التعبيرُ يُشيرُ إلى الرَّجُلِ وإلى المرأةِ على حدٍّ سواء - **ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾، هل يُوجدُ فارقٌ بينَ الاثنين؟ لا في الدُّنيا ولا بعدَ الموتِ ولا في القيامة، هذه حكايةُ الإنسان، إن كانَ ذكراً أو كانَ أنثى الحكايةُ واحدة..
فما جاءَ في تلكَ الأحاديثِ كانَ انعكاساً لثقافةٍ مُعيّنة، لموقفٍ سياسيٍّ مُعيّن، لموقفٍ اجتماعيٍّ مُعيّن، هذا هو منطقُ القُرآن..
في سورةِ الحُجُرات: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ** - يا معاشرَ الذُّكُورِ والإناث الخطابُ مُوجَّهٌ إليكُم على حدٍّ سواء فعقولكم واحدة ولذا فإنَّ الخطابَ واحدٌ أيضاً، لو كانت العقولُ متباينة لصارَ الخطابُ متبايناً أيضاً - **إِنَّا خَلَقْنَاكُم** - بتلكَ الطريقة الَّتي بيّنتها آياتُ سورة المؤمنون - **مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى** - على حدٍّ سواء - **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾، هذا التعارف ليسَ خاصّاً بالذُّكُور وليسَ خاصّاً بالإناث وإنَّما يكونُ التعارفُ حينما تكونُ الحقوقُ واحدةً وحينما تكونُ الواجباتُ واحدةً، هُناكَ تساوٍ..
- **لِتَعَارَفُوا** - هذا التَّعارُف لن يكُونَ واحداً لن يكُونَ مُتساوياً ما لم تَكُن الحقوقُ مُتساويةً، يكونُ التَّعارُف بمستوىً واحد فهذا التعبيرُ لا يُشيرُ إلى أنَّ التَّعارُفَ يكونُ بعدَّة مستويات، هُناكَ المستوياتُ العالية، وهُناكَ المستوياتُ السافلة، الدَّليلُ الآيةُ نفسُها حينما تقول: **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾، إنَّ أكرمَكُم عندَ اللهِ أتقاكُم هذا الكلامُ ليسَ خاصّاً بالرِّجال وليسَ خاصّاً بالنِّساء، لأنَّ الميزانَ لا علاقةَ لهُ بالذُّكوريَّة أو الأنوثة، الميزانُ يرتبطُ بالتَّقوى، والتَّقوى مردُّها إلى المعرفة، والمعرفةُ مردُّها إلى العَقْل، والعقلُ واحدٌ عندَ الطرفين، ولذا فإنَّ الخطابَ يُوجَّهُ إلى الذُّكُورِ والإناثِ بصيغةٍ واحدة، ولا يوجدُ تمييزٌ في البين..
- **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾.
هذا التعبيرُ في الآية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾، هل جاء جُزافاً؟ هل في القُرآنِ شيءٌ يأتي جُزافاً؟ الحديثُ عن العلمِ هُنا وليسَ عن العلمِ فقط، وعن الخبرة أيضاً عَليمٌ خَبير، فهذه الحقائقُ الَّتي بُيِّنت في الآيةِ مَردُّها إلى علمِ الله، مردُّها إلى العَليم الخَبير، هذا هو العِلمُ بعينه، الآيةُ تقولُ لنا من أنَّكُم إذا أردتُم العِلمَ فإنَّ العلمَ هاهُنا..
ما تقدَّمَ في الآية التساوي: **يَا أَيُّهَا النَّاس** - هُنا تساوي - **إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى** - هُنا تساوي - **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** - هُنا تساوي، تساوي في التَّعارُف، التَّمييزُ أين؟ - **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** - التَّمييزُ هُنا، هل هذا التَّمييزُ يَختصُّ بالذُّكُور أم أنَّ التَّمييزَ يختصُّ بالإناث؟! هذا تمييزٌ لا علاقةَ لهُ لا بالذُّكُورِ ولا بالإناث، هذا التَّمييزُ على أساس التَّقوى - **إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾.
في سورة الروم، الآيةُ الحاديةُ والعشرون بعدَ البسملة والَّتي بعدَها: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً**﴾، حينما يكونُ التَّعبيرَ هكذا: "**أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً** "، أينَ التَّمييز؟ هذا التَّعبيرُ هُوَ هُوَ الَّذي وردَ في الحديث عن رسُول اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله، فمثلما تحدَّثَ القُرآنُ عن أنَّ رَسُولَ اللّه هُو من أنفُسنا من أنفُس المؤمنين فإنَّ الحديثَ هُنا في هذه الآيةِ بِنفس التَّعبير، قطعاً هُناكَ فارقٌ من جهة الحيثيّات، لكنَّ الصِّياغةَ اللُّغويَّةَ الأدبيّة هي هي، هذه الآيةُ هَل تُشيرُ إلى اختلاف في المنزلة أو في الدَّرجة ما بينَ الرِّجال والنِّساء، أم أنَّ الآية تُشيرُ إلى أنَّهُما من مَعدنٍ واحد من عُنصرٍ واحد؟!
- **لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، هذه المودَّةُ وهذه الرَّحمةُ هذه المَضامينُ الَّتي وردت في هذه الآية هل تتحدَّثُ عن انتقاص للنِّساء؟ هل تتحدَّثُ عن توصيةِ الرِّجال بإهانة النِّساء؟ هل تتحدَّثُ عن جُوعٍ وعُري؟ وهل يُمكنُ أن يكونَ الجوعُ والعُريُ جُزءاً من السَّكينة هذه أو من المودَّة أو من الرَّحمة؟! ولذا فإنَّ تلكَ الأحاديث لها سياقُها الزَّماني، ولها سياقُها الاستثنائي، ككثيرٍ من الأحاديث في شتَّى الموضوعات المختلفة، فإنَّ الأئمَّة تحدَّثُوا تارةً بلسان التَّقيّة، وتارةً بلسان المداراة، وتارةً بلسان التَّعليم، وتارةً باللِّسان الَّذي يكونُ مُناسباً للواقع الَّذي كانوا يعيشونَ فيه.
هذا التَّعبيرُ يُشيرُ إلى أنَّ مستوى الإدراك عندَ الطرفين في حالة تساوٍ وإلَّا كيفَ سَكَنَ الزَّوجُ إلى الزَّوجة أو كيفَ سكنت الزَّوجةُ إلى الزَّوج؟
الآيةُ الَّتي بعدَها - **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾، رجعنا إلى العلمِ أيضاً، هذا الاختلافُ في اللُّغات، وهذا الاختلافُ في الألوان هل هو اختلافٌ في المنازل؟ أم هو اختلافٌ في مظاهر الخَلق؟ الاختلافُ في مظاهر الخَلْق لا يعني أنَّ منازلَ المخلوقات قد اختلفت، الحالُ هُوَ هُوَ فيما بينَ الذُّكُورِ والإناث..
هذه الآياتُ بمجموعها تُشكِّل أُسساً فكريَّةً وعلميَّةً واضحةً للرؤية القُرآنيَّة فيما يرتبطُ بالعلاقة بينَ الذُّكُورِ والإناث، القاعدةُ الأصل: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾، بقيةُ المضامينِ تفاصيل، وتلكَ التفاصيلُ لا يترتَّبُ على أساسها أنَّ المنازلَ وأنَّ الدرجاتَ مختلفة..
برنامجنا كما تعلمون عن الجَندَر، عنوانهُ: "حديثٌ عن الجَندَر"، وما جاءَ في الرِّسالة يرتبطُ بهذا الموضوع من جهة من الجهات، فلذا جعلتُ الحلقة الماضية والحلقةَ هذه بخُصوص تلكم الرسالة، وكانَ البيانُ إجماليّاً في الحلقتين معاً، لكنَّنا بحاجةٍ إلى موضوعٍ يتناولُ هذا العنوان: "ماذا يقولُ القُرآنُ للجَندَر"..
أختمُ حديثي بهذه الرواية:
في الجزء الرابع من (الكافي الشريف) للكليني، طبعةُ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الباب الحادي والأربعون: "بابُ سَقي الـماء"، الصفحة الثامنة والخمسين، الحديثُ السادس: **بِسنده** - بسند الكليني - **عَن إِمَامنا البَاقِرِ صَلواتُ اللّه وسَلامهُ عَلَيه: إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالَى يُحِبُّ إِبرادَ الكَبِد الحَرّى** - الحرّى الَّتي تكونُ شديدةَ الحرارة، وهذا التَّعبيرُ في لُغة العربِ يُشيرُ إلى العطشِ الشَّديد، كيفَ تتمُّ هذه العمليّة؟ بسقي العطشانِ ماء، قد يُستعملُ هذا التَّعبيرُ في بعض الأحيان للَّذي يكونُ ملهوفاً لحاجة لأمرٍ - **وَمَن سَقَى كَبِداً حَرّى من بَهِيمَة أو غَيرِهَا** - من بهيمة، الحيوانات - **أَظَلَّهُ اللَّهُ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّه** - هذه أخلاقُ اللّه، وهذه أخلاقُ الإسلام، وهذه أخلاقُ الدِّين، وهذه أخلاقُ القُرآن، وهذه أخلاقُ مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليه وآله، القُرآنُ حينَ يُخاطبُ رسُولَ اللّه صلَّى

اللَّهُ عليه وآله في سورة القلم في الآيةِ الرابعةِ بعدَ البسملة: ﴿**وَإِنَّكَ** - وَإِنَّكَ يا رَسُولَ اللّه - **لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾، اللَّهُ هُوَ الَّذي يقول، اللَّهُ يَصِفُ خُلُقَ مُحَمَّدٍ بأنَّهُ خُلُقٌ عظيم وهذه أخلاقُ اللّه..

هذه أخلاقُ العترةِ الطَاهرة، أينَ نضعُ تعذيبَ المرأة بالجوعِ والعُرِي مع هذا الذَّوق ومعَ هذه الأخلاق؟!

كُلُّ المضامين الَّتي مَرّت في تِلكَ الأحاديث، بل في الأَحاديث المتبقيّةِ الَّتي لم تذكرها الرِسالة وهَي أشدَّ وأقسى ليست في السياق الأصيلِ لأخلاق اللّه.